

مالك بن أنس عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» . وهذا إسناد عظيم ومتن قويم .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش» الحديث . وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، حدثنا عطاء بن السائب قال : كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخاً أبيض الرأس واللحية على حمار ، وهو يتبع جنازة فسمعتة يقول : حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول «من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قال : فأكب قوم يبكون ، فقال «ما يبكيكم ؟ فقالوا : إنا نكره الموت ، قال : ليس ذاك ولكنه إذا احتضر ﴿فأما إن كان من المقربين ﴾ فروح وربحان وجنة نعيم ﴿ فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل ، والله عز وجل للقاءه أحب ﴾ وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴿ فإذا بشر بذلك كره لقاء الله والله تعالى للقاءه أكره ، هكذا رواه الإمام أحمد ، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها شاهد لمعناه .

وقوله تعالى : ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾ أي وأما إذا كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أي تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم : سلام لك أي لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين . وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله ، كما قال عكرمة : تسلم عليه الملائكة وتحبره أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن ، ويكون ذلك كقول الله تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴾ نزلاً من غفور رحيم ﴿ وقال البخاري ﴿فسلام لك﴾ أي مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألغيت إن وبقي معناها كما تقول أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إني مسافر عن قليل ، وقد يكون كالدعاء له كقولك سقيا لك من الرجال إن رفعت السلام ، فهو من الدعاء ، وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال إليه والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم﴾ أي وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ﴿فتزل﴾ أي فضيافة ﴿من حميم﴾ وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ﴿وتصلية جحيم﴾ أي وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته . ثم قال تعالى : ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ أي إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن أيوب الغافقي ، حدثني إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال رسول الله ﷺ «اجعلوها في سجودكم» وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به ، وقال روح بن عباد : حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة» هكذا رواه الترمذي من حديث روح ، ورواه هو والنسائي أيضاً من حديث حماد بن سلمة ، من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ به ، وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير ، وقال البخاري في آخر كتابه : حدثنا أحمد بن أشكاب ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله آخر تفسير سورة الواقعة ، والله الحمد والمنة .



قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقر بن سعد عن خالد بن معدان عن ابن أبي بلال عن عرباض بن سارية أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال « إن فيها آية أفضل من ألف آية ، وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن بقية به . وقال الترمذي : حسن غريب .

ورواه النسائي عن ابن أبي السرح عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن جبر بن سعد ، عن خالد بن معدان قال : كان رسول الله ﷺ فذكره مرسلًا ، لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولا العرياض بن سارية ، والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَأَلَّا يَكُنْ لَهُ مِثْلٌ شَيْءٌ فَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢﴾

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

يجبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض أي من الحيوانات والنباتات ، كما قال في الآية الأخرى ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أي الذي قد خضع له كل شيء ﴿ الحكيم ﴾ في خلقه وأمره وشرعه ﴿ له ملك السموات والأرض يحصي ويميت ﴾ أي هو المالك المتصرف في خلقه فيحوي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرياض بن سارية أنها أفضل من ألف آية ، وقال أبو داود : حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا النضر بن محمد ، حدثنا عكرمة - يعني ابن عمار - حدثنا أبو زميل قال : سألت ابن عباس فقلت : ما شيء أجده في صدري ؟ قال : ما هو ؟ قلت : والله لا أتكلم به . قال : فقال لي : أشيء من شك ؟ قال وضحك ، قال : ما نجا من ذلك أحد ، قال : حتى أنزل الله تعالى : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ﴾ الآية ؛ قال : وقال لي : إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً .

وقال البخاري : قال يحيى : الظاهر على كل شيء علماً والباطن على كل شيء علماً . وقال شيخنا الحافظ المزي : يحيى هذا هو ابن زياد الفراء ، له كتاب سباه معاني القرآن ، وقد ورد في ذلك أحاديث ، فمن ذلك ما قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن عياش عن سهيل عن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء . اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر » ورواه مسلم في صحيحه : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا جرير عن سهيل قال : كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول : اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر . وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال حدثنا عقبه ، حدثنا يونس ، حدثنا السري بن إسحاق عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة ، فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى ثم همس ما يدرى ما يقول ، فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال : « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل نبي ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى . أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللهم أنت الأول الذي ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر » . السري بن إسحاق هذا هو ابن عم الشعبي وهو ضعيف جداً والله أعلم

ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴿ وقوله تعالى : ﴿ وما ينزل من السماء ﴾ أي من الأمطار . والثلوج والبرد والأقذار . والأحكام مع الملائكة الكرام . وقد تقدم في سورة البقرة أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى . وقوله تعالى : ﴿ وما يعرج فيها ﴾ أي من الملائكة والأعمال كما جاء في الصحيح « يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » . وقوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر ، في ليل أو نهار في البيوت أو في القفار ، الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى : ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ .

قال تعالى : ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ فلا إله غيره ولا رب سواه ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل لما سأله عن الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة : حدثني أبي عن نصر بن علقمة عن أخيه عن عبد الرحمن بن عامر قال : قال عمر جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال زدني حكمة أعيش بها فقال « استح الله كما تستحي رجلاً من صالح عشيرك لا يفارقك » هذا حديث غريب ، وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن علوية العامري مرفوعاً « ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان إن عبد الله وحده وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ، ولم يعط الهرمة ولا الرذية ولا الشرطة اللثيمة ولا المريضة ، ولكن من أوسط أموالكم وزكى نفسه » وقال رجل : يا رسول الله ما تزكية المرء نفسه ؟ فقال « يعلم أن الله معه حيث كان » . وقال نعيم بن حماد رحمه الله : حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي عن محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم ، عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » غريب ، وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا أن ما تخفي عليه يغيب

وقوله تعالى : ﴿ له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ﴾ أي هو المالك للعالمين والآخرة كما قال تعالى : ﴿ وإن لنا للآخرة والأولى ﴾ وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى : ﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة ﴾ وقال تعالى : ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴾ ، فجميع ما في السموات والأرض ملك له ، وأهلها عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعددهم عدداً وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ﴾ ولهذا قال : ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ أي إليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة بل إن يكن عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها ﴿ ويؤت من لذه أجرأ عظيماً ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ أي هو المتصرف في الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس ، وتارة يتركها معتدلين ، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعاً ثم قيظاً ثم خريفاً ، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به خلقه ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾ أي يعلم السرائر وإن دقت وإن خفيت .

ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٨﴾

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم مَّا تَعْبُدُونَ
مَا يَنْتَهِبُ يَنْتَهِبُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاءِ أَكْثَرِ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا

وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَمْ وَلَهُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٧﴾

أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل ، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار ، وحث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أي مما هو معكم على سبيل العارية ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم ، فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته ، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه ، وقوله تعالى : ﴿ مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك ، فلعل وارثك أن يطيع الله فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك ، أو يعصى الله فيه فتكون قد سعت في معاونته على الإثم والعدوان . قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : « أهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ » ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد : « وما سوى ذلك فذاهب وتاركة للناس » .

وقوله تعالى : ﴿ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة ثم قال تعالى : ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا برسبكم ؟ ﴾ أي وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به ، وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه : « أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً ؟ قالوا : الملائكة . قال : وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ قالوا : فالأنبياء . قال : وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم ؟ قالوا : فنحن . قال : وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها » وقد ذكرنا طرفاً من هذه في أول سورة البقرة عند قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وقد أخذ ميثاقكم ﴾ كما قال تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا ﴾ ويعني بذلكبيعة الرسول ﷺ ، وزعم ابن جرير أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم وهو مذهب مجاهد فإنه أعلم . وقوله تعالى : ﴿ هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ﴾ أي حججاً واضحات ودلائل بآيات وبراهين قاطعات ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ أي من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان ﴿ وإن الله بكم لرؤوف رحيم ﴾ أي في إنزاله الكتب وإرساله الرسل هداية للناس وإزاحة العليل وإزالة الشبه ، ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانع حثهم أيضاً على الإنفاق فقال : ﴿ وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والأرض ؟ ﴾ أي أنفقوا ولا تحشوا فقراً وإقلالاً فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض وبيده مقاليدهما وعنده خزائنها ، وهو مالك العرش بما حوى ، وهو القائل ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ .

وقال ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ فمن توكل على الله أنفق ولم يحش من ذي العرش إقلالاً ، وعلم أن الله سيخلفه عليه . وقوله تعالى : ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ أي لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله ، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون ، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجا . ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة ، وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية ، وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا زهير ، حدثنا حميد الطويل عن أنس قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ، فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ فقال « دعوا لي أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغت أعيالهم » ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة ، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا ، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم ، فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن

عمر وغيرهما ، فاخصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك ، والذي في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب ، أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية ، حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ « يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » فقلنا : من هم يا رسول الله أفريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً » فقلنا : أهم خير منا يا رسول الله ؟ قال « لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه إلا أن هذا فضل ما بيننا وبين الناس » لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ﴿ وهذا الحديث غريب بهذا السياق والذي في الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ذكر الخوارج : تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يمرون من الدين كما يمرك السهم من الرمية . الحديث ، ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال : حدثني ابن البرقي ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد بن أسلم عن أبي سعيد التمار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » قلنا : من هم يا رسول الله ، فريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوباً » وأشار بيده إلى اليمن فقال « هم أهل اليمن إلا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية » فقلنا : يا رسول الله هم خير منا ؟ قال « والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مد أحدكم ولا نصيفه » ثم جمع أصابعه ومد خصصره وقال « ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية ، فإن كان ذلك محفوفاً كما تقدم فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخباراً عما بعده كما في قوله تعالى في سورة المزمل وهي مكية من أوائل ما نزل ﴿ وآخرون يقاتلون في سبيل الله ﴾ الآية . فهي بشارة بما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم .

وقوله تعالى ﴿ وكلاً وعد الله الحسنى ﴾ يعني المنفقين قبل الفتح وبعده ، كلهم لهم ثواب على ما عملوا ، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال تعالى ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾ وهكذا الحديث الذي في الصحيح « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر ، فيتوهم متوهم ذمه ، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه ، ولهذا قال تعالى ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ أي فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذلك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضييق ، وفي الحديث « سبق درهم مائة ألف » ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضي الله عنه ، له الحظ الأوفر من هذه الآية ، فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء ، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها .

وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد ، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن يونس ، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني ، حدثنا أبو إسحاق الفزاري ، حدثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن علي عن ابن عمر قال : كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال ، فنزل جبريل فقال : مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال ؟ فقال « أنفق ماله على قبل الفتح » قال : فإن الله يقول : اقرأ عليه السلام . وقل له أراض أنت عني في فترك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك : أراض أنت عني في فترك هذا أم ساخط ؟ » فقال أبو بكر رضي الله عنه : أسخط على ربي عز وجل ؟ إني عن ربي راض . هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم . وقوله تعالى ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ قال عمر بن الخطاب : هو الإنفاق في سبيل الله ، وقيل : هو النفقة على العيال ، والصحيح أنه أعم من ذلك ، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة ، وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية ، ولهذا قال تعالى ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ﴾ كما قال في الآية الأخرى ﴿ أضعافاً كثيرة وله أجر كريم ﴾ أي جزاء جميل ورزق باهر ، وهو الجنة يوم القيامة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري : يا رسول الله ، وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال « نعم يا أبا الدحداح » قال : أرني يدك يا رسول الله . قال : فناوله يده . قال : فإني قد أقرضت ربي حائطي ، وله حائط فيه ستائة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعياله . قال : فجاء أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح . قالت : لبيك ، قال : اخرجي فقد أقرضت ربي عز وجل ، وفي رواية أنها قالت له : ربح بيعك يا أبا الدحداح ، ونقلت منه متاعها وصبياتها وإن رسول الله ﷺ قال « كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح » وفي لفظ « رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبي الدحداح في الجنة » .

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَتُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِّدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَفَقِّهُونَ وَالْمُنْفِقُونَ أَلِذَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْظَرُونَا نَقِيسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَشَرِبَ مِنْهُمْ سُورِلَهُمْ آبٌ بِأَيْمَانِهِمْ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَهَرُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٢٧﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتننهم أنفسكم وتربصنهم وازبنصنهم وعزبنكم الأمانى حتى جاءه أمر الله وعزبكم بالله العزور ﴿١٢٨﴾ اليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ما تؤنكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴿١٢٩﴾

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسمى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة ، بحسب أعماهم كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ يسمى نورهم بين أيديهم ﴾ قال : على قدر أعماهم يرون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم ، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفا مرة ، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وقال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى أن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه » وقال سفبان الثوري عن حصين ، عن مجاهد ، عن جنادة بن أبي أمية قال : إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلاكم ونجواكم ومجالسكم ، فإذا كان يوم القيامة ، قيل : يا فلان هذا نورك ، يا فلان لا نور لك ، وقرأ ﴿ يسمى نورهم بين أيديهم ﴾ .

وقال الضحاك : ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة ، فإذا انتهوا إلى الصراط طفىء نور المنافقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفىء نور المنافقين فقالوا : ربنا أتمم لنا نورنا ، وقال الحسن : ﴿ يسمى نورهم بين أيديهم ﴾ يعني على الصراط وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا أبو عبيد الله بن أخي ابن وهب ، أخبرنا عمي عن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن مسعود أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث ، أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي ﷺ قال « أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود ، وأول من يؤذن الله برفع رأسه ، فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمي من بين الأمم » فقال له رجل : يا نبي الله كيف تعرف أمك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمك ؟ فقال : « أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم ؛ وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيامهم ، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم ، وأعرفهم بنورهم يسمى بين أيديهم » .

وقوله ﴿ وبأيامهم ﴾ قال الضحاك أي وبأيامهم كتبهم كما قال ﴿ فمن أوتي كتابه بيمينه ﴾ وقوله ﴿ بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي يقال لهم : بشراكم اليوم جنات أي لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار ﴿ خالدين فيها ﴾ أي ماكين فيها أبداً ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ وقوله ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة والزلازل العظيمة ، والأمر الفظيعة ، وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر . قال ابن

أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا صفوان بن عمرو ، حدثني سليم بن عامر قال : خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو امامة الباهلي ، فلما صلي على الجنازة وأخذوا في دفنها قال أبو امامة أيها الناس إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات ، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة ، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتيبيض وجهه وتسود وجوهه ، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً ، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً ، وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوقه إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى بصر البصير ، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم قبل أرجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ﴾ وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال ﴿ يجادعون الله وهو خادعهم ﴾ فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً ، فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب ﴿ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ الآية .

يقول سليم بن عامر : فما يزال المنافق مغترأ حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن ، ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن عثمان ، حدثنا ابن حيوه ، حدثنا أرتاة بن المنذر ، حدثنا يوسف بن الحجاج عن أبي امامة قال : بيعت الله ظلمة يوه القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس : بيننا الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً ، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه ، وكان النور دليلاً من الله إلى الجنة ، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ فإننا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون ﴿ ارجعوا وراءكم ﴾ من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور . وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا الحسن بن عرفة بن علوية العطار ، حدثنا إسحاق بن عيسى العطار ، حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة ، حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترأ منه على عباده ، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً ، فإذا استوتوا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات ، فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم ، وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً » .

وقوله تعالى : ﴿ فضرِب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ قال الحسن وقتادة : هو حائط بين الجنة والنار ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو الذي قال الله تعالى : ﴿ وبينها حجاب ﴾ وهكذا روي عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح ﴿ باطنه فيه الرحمة - أي الجنة وما فيها - وظاهره من قبله العذاب ﴾ أي النار قاله قتادة وابن زيد وغيرهما ، قال ابن جرير وقد قيل إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم . ثم قال : حدثنا ابن البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عطية بن قيس عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال . سمعت عبد الله بن عمرو يقول : إن السور الذي ذكره الله في القرآن ﴿ فضرِب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ وهو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم . ثم روي عن عبادة بن الصامت وكعب الأحبار وعلي بن الحسين وزين العابدين نحو ذلك ، وهذا محمول منهم على أنهم أراها بهذا تقريب المعنى ومثلاً لذلك ، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد ، وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم ، فإن الجنة في السموات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل سافلين ، وقول كعب الأحبار إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد فهذا من إسرائيلياته وترهاته ، وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة .

﴿ ينادونهم ألم نكن معكم ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجمعة ، ونقف معكم عرفات ، ونحضر معكم الغزوات ونؤدي معكم سائر الواجبات ؟ ﴿ قالوا بلى ﴾ أي فاجاب المؤمنون المنافقين قائلين : بلى قد كنتم معنا ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى ﴾ قال بعض السلف : أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات وتربصتم أي أحرمت التوبة من وقت إلى وقت . وقال قتادة

﴿ تربصتم ﴾ بالحق وأهله ﴿ وارتمتم ﴾ أي بالبعث بعد الموت ﴿ وغرتمكم الأمانى ﴾ أي قلتم سيغفر لنا وقيل غرتمكم الدنيا ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ أي ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت ﴿ وغرتمكم بالله الغرور ﴾ أي الشيطان ، قال قتادة : كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار : ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين أنكم كبتتم معنا أي بأبدان لانية لها ولا قلوب معها ، وإنما كبتتم في حيرة وشك فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلاً ، قال مجاهد : كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويعشونهم ويعاشرهم ، وكانوا معهم أموالاً ويعطون النور جميعاً يوم القيامة ، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ .

وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول ، وهو أصدق القائلين ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ﴾ في جنات يتساءلون ﴿ عن المجرمين ﴾ ما سلككم في سقر ﴿ قالوا لم نك من المصلين ﴾ ولم نك نطمع المسكين ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ وكنا نكذب بيوم الدين ﴿ حتى أتانا اليقين ﴾ فهذا إنما خرج منهم على وجه التقرير لهم والتوبيخ . ثم قال تعالى ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ كما قال ههنا ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ﴾ أي لو جاء أحدكم اليوم بماء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه . وقوله تعالى : ﴿ ماواكم النار ﴾ أي هي مصيركم وإليها منقلبكم ، وقوله تعالى : ﴿ هي مولاكم ﴾ أي هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبش المصير .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَع قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى : أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتتقاد له وتسمع له وتطيعه . قال عبد الله بن المبارك : حدثنا صالح المري عن قتادة عن ابن عباس أنه قال : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ الآية ؛ رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن حسين المرزوي عن ابن المبارك به . ثم قال هو ومسلم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن هلال ، يعني الليثي ، عن عون بن عبد الله عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ الآية ، إلا أربع سنين ، كذا رواه مسلم في آخر الكتاب ، وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلي عن ابن وهب به . وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي حازم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه مثله ، فجعله من مسند ابن الزبير ، لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسى بن يعقوب عن أبي حازم عن عامر عن ابن الزبير عن ابن مسعود فذكره .

وقال سفيان الثوري عن المسعودي عن القاسم قال : مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا : حدثنا يا رسول الله ، فأنزل الله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ قال : ثم ملوا ملة فقالوا : حدثنا يا رسول الله فأنزل الله تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ ثم ملوا ملة فقالوا : حدثنا يا رسول الله ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ وقال قتادة ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ وقال قتادة ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ . ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروي عن رسول الله ﷺ قال ﴿ إن أول ما يرفع من الناس الخشوع ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ﴾ . نهي الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى ، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ونبذوه وراء ظهورهم ، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة ، وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ أي في الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة قال تعالى : ﴿ فيها نقصهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ﴾ أي

فسدت قلوبهم فقسست وصرار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التي أمروا بها ، وارتكبوا ما نهوا عنه ، ولهذا نهى الله المؤمنين أن يشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا شهاب بن خراش ، حدثنا حجاج بن دينار عن منصور بن المعتمر عن الربيع بن أبي عميلة الفزاري قال : حدثنا عبد الله بن مسعود ، حدثنا ما سمعت أعجب إلي منه إلا شيئاً من كتاب الله أو شيئاً قاله النبي ﷺ قال : « إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقسست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته ، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا ، فمن تابعنا عليه تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه ، ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه ، فلما رأى ما يصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ثم أدرجه ، فجعله في قرن ثم علق ذلك القرن في عنقه ، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء إنكم أفشيتم القتل في بني إسرائيل فادعوا فلاناً فاعرضوا عليه كتابكم ، فإنه إن تابعكم فسيتابعكم بقية الناس وإن أبي فاقتلوه ، فدعوا فلاناً ذلك الفقيه قالوا : أتؤمن بما في كتابنا هذا ، قال : وما فيه ؟ اعرضوه علي فعرضوه عليه إلى آخره ، ثم قالوا : أتؤمن بما في كتابنا هذا ؟ قال : نعم أمنت بما في هذا وأشار بيده إلى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه معلقاً ذلك القرن ، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة ، فافترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة ، وخير مللهم ملة أصحاب ذي القرنين قال ابن مسعود : وإنكم أوشك بكم إن بقيتم أو بقي من بقي منكم أن تروا أموراً تنكرونها لا تستطيعون لها غيراً ، فيحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره .

وروى أبو جعفر الطبري حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير عن مغيرة عن أبي معشر عن إبراهيم قال : جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال : يا أبا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فقال عبد الله : هلك من لم يعرف قلبه معروفاً ولم ينكر قلبه منكراً . إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم ، وقالوا نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب ، فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه ، قال فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن ثم جعل القرن بين ثنوديه ، فلما قيل له أتؤمن بهذا ؟ قال أمنت به ويومئذ إلى القرن بين ثنوديه ، وما لي لأؤمن بهذا الكتاب ؟ فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن .

وقوله تعالى : ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الخياري بعد ضللتها ، ويفرج الكروب بعد شدتها ، فكما يحيي الأرض الميتة المجذبة الهامدة بالغيث الهتان الواابل ، كذلك يهدي القلوب القاسية براهين القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الوااصل ، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال ، والمضل لمن أراد بعد الكمال ، الذي هو لما يشاء فعال ، وهو الحكيم العدل في جميع الفعال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال .

﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذَقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

نجبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقير والمسكنة ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ أي دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكوراً ، ولهذا قال ﴿يضاعف لهم﴾ أي يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ، ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف ، وفوق ذلك ﴿ولهم أجر كريم﴾ أي ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم . وقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ هذا تمام الجملة ، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون ، قال العوفي عن ابن عباس : قوله تعالى : ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ هذه مفصلة ﴿والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾ وقال أبو الضحى ﴿أولئك هم الصديقون﴾ ثم استأنف الكلام فقال ﴿والشهداء عند ربهم﴾ وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم .

وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ قال : هم ثلاثة أصناف : يعني المصدقين والصديقين والشهداء ، كما قال تعالى : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنها صنفان ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد ، كما رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال «إن أهل الجنة ليرتأون أهل الغرف من فوقهم كما يرتأون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قال : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» اتفق البخاري ومسلم على إخراجهم من حديث مالك به ، وقال آخرون : بل المراد من قوله تعالى : ﴿أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء ، حكاه ابن جرير عن مجاهد ، ثم قال ابن جرير : حدثني صالح بن حرب أبو معمر ، حدثنا إساعيل بن يحيى ، حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «مؤمنوا أمتي شهداء» قال : ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ هذا حديث غريب . وقال أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى : ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾ قال : يجيئون يوم القيامة معاً كأصبعين .

وقوله تعالى : ﴿والشهداء عند ربهم﴾ أي في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : ماذا تريدون ؟! فقالوا : نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة ، فقال : إني قد قضيت أنهم إليها لا يرجعون .» وقوله تعالى : ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ أي لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال كما قال الإمام أحمد ، حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار عن أبي يزيد الخولاني قال : سمعت فضالة بن عبيد يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذاك الذي ينظر الناس إليه هكذا ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله ﷺ وقلنسوة عمر» والثاني مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلع جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية ، والثالث رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة ، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة» وهكذا رواه علي بن المديني عن أبي داود الطيالسي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة ، وقال هذا إسناد مصري صالح ، ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال حسن غريب ، وقوله تعالى : ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ لما ذكر السعداء ومآلهم عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم .

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْغَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَبًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ عُرُورٌ ﴿٢٦﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى موهناً أمر الحياة الدنيا ومحقرها لها ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ أي إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال تعالى : ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المتقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ ثم ضرب

تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال ﴿كمثل غيث﴾ وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى : ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ .

وقوله تعالى : ﴿أعجب الكفار نباته﴾ أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها ﴿ثم يبيح فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً﴾ أي يبيح ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ما كان خضراً نضراً ، ثم يكون بعد ذلك كله حطاماً أي يصير يسباً متحطماً ، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزاً شوهاء ، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غصاً طرياً لين الأعطاف ، بهي المنظر ، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى ، قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى : ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعض ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ، وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال ﴿وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان﴾ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ أي وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا : إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان .

وقوله تعالى : ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ أي هي متاع فان غار لمن ركن إليه ، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها ، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى دار الآخرة . قال ابن جرير : حدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا المحاربي ، حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرؤوا ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾» وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم . وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ووكيع كلاهما عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ «للجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك» انفرد بإخراجه البخاري في الرقاق من حديث الثوري عن الأعمش به . ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى : ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ والمراد جنس السماء والأرض كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ وقال ههنا ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ أي هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم ، كما قدمناه في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور بالدراجات العلل والنعيم المقيم قال «وما ذاك؟» قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا ننصدق ، ويعتقون ولا نعتق . قال «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتهم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» قال : فرجعوا فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» .

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ

وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

يغتر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم﴾ أي في الأفاق وفي نفوسكم ﴿إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ أي من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمه . وقال بعضهم : من قبل أن نبرأها عائد على النفوس ، وقيل : عائد على المصيبة ، والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عليه عن منصور بن عبد الرحمن قال : كنت جالساً مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى : ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ فسألته عنها فقال : سبحان

الله ومن يشك في هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة . وقال قتادة : ما أصاب من مصيبة في الأرض قال : هي السنون يعني الجذب ﴿ولا في أنفسكم﴾ يقول : الأوجاع والأمراض ، قال : وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر .

وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق - قبحهم الله - وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة وابن هبة قالوا : أخبرنا أبو هانئ الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحيلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» . ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد ثلاثهم عن أبي هانئ به ، وزاد ابن وهب «وكان عرشه على الماء» ورواه الترمذي وقال حسن صحيح . وقوله تعالى : ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابتها لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل ، لأنه ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

وقوله تعالى : ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها ، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطاكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أي جاءكم ، وتفسير آتاكم أي أعطاكم وكلاهما متلازم أي لا تفرحوا على الناس بما أنعم الله به عليكم ، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم ، وإنما هو عن قدر الله ورضقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً تفخرون بها على الناس ، ولهذا قال تعالى : ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ أي مختال في نفسه متكبر فخور أي على غيره . وقال عكرمة : ليس أحد إلا وهو يفرح ويمزج ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً . ثم قال تعالى : ﴿الذين ييخولون ويأمرون الناس بالبخل﴾ أي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه ﴿ومن يتول﴾ أي عن أمر الله وطاعته ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾ كما قال موسى عليه السلام ﴿إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد﴾ .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ

بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَصْرِفُ رِيسَالَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ أي بالمعجزات ، والحجج الباهرات ، والدلائل القاطعات ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ وهو النقل الصدق ﴿والميزان﴾ وهو العدل ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما ، وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للأراء السقيمة كما قال تعالى : ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ وقال تعالى : ﴿قطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ وقال تعالى : ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ ولهذا قال في هذه الآية ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ أي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به ، فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي ، ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوأوا غرف الجنات ، والمنازل العاليات ، والسرر المصفوفات ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ أي وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبي الحق وعانده بعد قيام الحججة عليه ، ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية ، وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبيانات ودلالات ، فلما قامت الحججة على من خالف ، شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيف وضرب الرقاب وإلهاق لمن خالف القرآن وكذب به وعانده ، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي المنيب الجرشي الشامي عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم» . ولهذا قال تعالى : ﴿فيه بأس شديد﴾ يعني السلاح كالسيف والخراب والسنان والنصال والدروع ونحوها ﴿ومنافع للناس﴾ أي في معاشهم كالسكة والفأس والقدم والمنشار والإزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحرارة

والحياكة والطبخ والخبز ، وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك . قال علباء بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم : السندان والكلبتان والمقعة يعني المطرقة ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وقوله تعالى : ﴿وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي من نبتة في حمل السلاح نصره الله ورسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس ، وإنما شرع الجهاد ليلو بعضهم ببعض .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ

وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ

وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا

رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦٧﴾

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحاً عليه السلام لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالة ، كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، ولهذا قال تعالى : ﴿ثم قفينا على آثارهم يرسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل﴾ وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه﴾ وهم الخواريون ﴿ورأفة﴾ أي رقة وهي الخشية ﴿ورحمة﴾ بالخلق . وقوله ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ أي ابتدعها أمة النصارى ﴿ما كتبناها عليهم﴾ أي ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم .

وقوله تعالى : ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ فيه قولان [أحدهما] أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير وقاده . [والآخر] - ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله . وقوله تعالى : ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ أي فإما قاموا بما التزموه حق القيام ، وهذا ذم لهم من وجهين [أحدهما] - الابتداء في دين الله ما لم يأمر به الله و[الثاني] - في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقربهم إلى الله عز وجل . وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي حدثنا السري بن عبد ربه ، حدثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه عن جده ابن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ «يا ابن مسعود قلت : لبيك يا رسول الله . قال «هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ؟ لم ينجم منها إلا ثلاث فرق ، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى بن مريم عليه السلام ، فدعت إلى دين الله ودين عيسى بن مريم ، فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال ، فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمشايير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط ، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى : ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾» .

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال : حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا داود بن المحبر ، حدثنا الصعق بن حزن ، حدثنا عقيل الجعدي عن أبي إسحاق الهمداني عن سويد بن غفلة عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم» وذكر نحو ما تقدم وفيه «فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم» هم الذين آمنوا بي وصدقوني ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين كذبوني وخالفوني ولا يقدر في هذه المتابعة لحال داود بن المحبر فإنه أحد الوضاعين للحديث ، ولكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن الصعق بن حزن به مثل ذلك ، فقوي الحديث من هذا الوجه .

وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له : أخبرنا الحسين بن حريث ، حدثنا الفضل بن موسى عن سفیان بن سعيد عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوراة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ، فقيل للملوكهم ما نجد شيئاً أشد من شتم يشتمونه هؤلاء أنهم يقرءون ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ هذه الآيات مع ما يعيونا به من أعمالنا في

قراءتهم فادعهم فليقرأوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمننا ، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك دعونا ، وقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم ، وقالت طائفة : دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش ، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة : ابنوا لنا دوراً في الفياقي ونحفر الآبار ونحرق البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ، وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم ، ففعلوا ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾ .

والآخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما مساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بعث الله النبي ﷺ ولم يبق إلا القليل انحط منهم رجل من صومعته ، وجاء سائح من سياحته ، وصاحب الدير من ديرته فأمنوا به وصدقوه فقال الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ﴾ أجرين بإيمانهم بعيسى بن مريم ونصب أنفسهم والتوراة والإنجيل ، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم قال ﴿ ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ القرآن واتباعهم النبي ﷺ قال ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ الذين يتشبهون بكم ﴿ أن لا يقدرن على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ هذا السياق فيه غرابة ، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء أن سهل بن أبي أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير ، وهو يصلي صلاة خفيفة وقعت كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها ، فلما سلم قال : يرحمك الله أرايت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلته ؟ قال : إنها المكتوبة وإنها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه ، إن رسول الله ﷺ كان يقول ﴿ لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ ثم غدوا من الغد فقالوا : نركب فتنظر ونعتبر ، قال : نعم فركبوا جميعاً فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها ، فقالوا : أتعرف هذه الديار ؟ قال : ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغي والحسد ، إن الحسد يطفىء نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه ، والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معمر ، حدثنا عبد الله أخبرنا سفیان عن زيد العمي عن أبي إياس ، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال ﴿ لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل ﴾ ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن أساء عن عبد الله بن المبارك به ولفظه ﴿ لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله ﴾ . وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا عياش يعني إسماعيل عن الحجاج بن هارون الكلاعي وعقيل بن مدرك السلمى ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاءه فقال : أوصني ، فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض . تفرد به أحمد ، والله تعالى أعلم .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ

نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٨﴾ لئلا يعلم أهل الكتاب إلا يقدرن على شيء ومن فضل الله وأن

الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿٥٩﴾

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص وكما في حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنيه وآمن بي فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها فله أجران ﴾ أخرجاه في الصحيحين ووافق ابن عباس على هذا

التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما وهو اختبار ابن جرير وقال سعيد بن جبير : لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي ضعفين ﴿من رحمته﴾ و زادهم ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم ، ففضلهم بالنور والمغفرة رواه ابن جرير عنه .

وهذه الآية كقولها تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ وقال سعيد بن عبد العزيز : سأل عمر بن الخطاب جبراً من أجباز يهود أفضل ما ضعف لكم حسنة قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة ، قال فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين ، ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ قال سعيد : والكفلان في الجمعة مثل ذلك ، رواه ابن جرير . وما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عمار ، حدثنا أيوب بن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعلت اليهود ، ثم قال من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعلت النصارى ، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم ، فغضبت النصارى واليهود وقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء قال : هل ظلمتكم من أجركم شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : فإنما هو فضلي أوتيته من أشياء .

قال أحمد : حدثنا مؤمل عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب عن حماد بن نافع به ، وعن قتبية عن الليث بن نافع بمثله . وقال البخاري : حدثني محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد بن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل ، فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً ، فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر ، فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه . فقال أكملوا بقية عملكم فإنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا . فاستأجر قوماً أن يعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس ، فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور انفرد به البخاري ولهذا قال تعالى : ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ أي ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء ما منع الله ﴿وأن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء﴾ ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ .

قال ابن جرير ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ أي ليعلم وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها لكي يعلم وكذا عطاء بن عبد الله وسعيد بن جبير . قال ابن جرير : لأن العرب تجعل لا صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله ﴿ما منعك ألا تسجد﴾ ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ بالله ﴿وحرام على أهلكتناها أنهم لا يرجعون﴾ .

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ مَخَاوَرِكَمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٥٨﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقوله ، فأنزل الله عز وجل ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ إلى آخر الآية ، وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا فقال ؛ وقال الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة فذكره وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه